

حِجَاجِيَّةُ التَّكْرَارِ فِي شِعْرِ الْخَوَارِجِ (41 هـ - 89 هـ) -مُقَارَنَةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ-

The argumentative function of repetition in Khawarij Poetry (41 AH - 89 AH)
-Pragmatic Approach-

* سامي قديم

مُخْبِرُ تَعْلِيمِيَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالنَّصِّ الْأَدَبِيِّ

قِسْمُ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، كُليَّةُ الْآدَابِ وَاللُّغَاتِ، جَامِعَةُ أُمِّ الْبَوَاكِي، (الجزائر)، gueddim.sami@univ-oeb.dz

تاريخ النشر: 2022/09/28

تاريخ القبول: 2022/03/01

تاريخ الاستلام: 2021/07/01

ملخص:

يَنْدَرِجُ الْبَحْثُ فِي سِيَاقِ الْمُقَارَنَةِ التَّدَاوُلِيَّةِ لِلْأَسَالِيبِ الْبَلَاغِيَّةِ فِي الشِّعْرِ الْأُمَوِيِّ، مُتَّخِذًا مِنَ التَّكْرَارِ نُمُودًا لِلدِّرَاسَةِ، فَالتَّكْرَارُ أَخَذَ أَهَمَّ الْوَسَائِلِ التَّوَاصُلِيَّةِ دَاخِلَ الْخِطَابِ، وَزَادَ حِجَاجِيَّ بَامْتِنَازٍ، يُسَاعِدُ عَلَى طَرْحِ الْأَفْكَارِ بِأَسَالِيبٍ مُؤَثِّرَةٍ جَاذِبَةٍ لِلْمُتَلَقِّي، وَصُلَا إِلَى الْعَايَةِ الَّتِي جِيءَ بِهِ إِلَيْهَا، وَ الَّتِي تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ سِيَاقِ تَوْظِيْفِهِ، فَقَدْ يَأْتِي: لِحِجَاجِ الْخُصُومِ وَغَلْبَتِهِمْ، النَّصْحُ، الْإِرْشَادُ وَالتَّنْبِيهِ. وَهَذِهِ الدِّرَاسَةُ جَاءَتْ تَكْشِفُ عَنْ كَيْفِيَّةِ تَأْثِيرِ التَّكْرَارِ فِي الْمُتَلَقِّي، وَكَيْفَ يَكُونُ وَسِيلَةً حِجَاجِيَّةً إقْنَاعِيَّةً، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ اسْتِقْرَإِ نَمَازِجٍ مِنْ شِعْرِ الْخَوَارِجِ، مَعَ بَيَانِ فَاعِلِيَّتِهِ وَتَأْثِيرِهِ فِي الْخِطَابِ. كَلِمَاتُ مِفْتَاحِيَّة: التَّكْرَارُ الْحِجَاجِي، شِعْرُ الْخَوَارِجِ، مُقَارَنَةٌ تَدَاوُلِيَّة.

Abstract

The research is included in the context of the deliberative approach to rhetorical methods in Umayyad poetry, taking from repetition as a model of study, repetition is one of the most important means of communication within the discourse, helps to put forward ideas in influential ways attractive to the recipient, to the end to which he came, and varies according to the context of his employment, may come: for the pilgrims of opponents and their predominance, advice and guidance. This study came to reveal how repetition affects the recipient, and how it is a compelling pilgrim method, by extrapolating models of kharijites' hair, while demonstrating its effectiveness and influence in speech. **Keywords** The argumentative repetition; Kharijites Poetry; Pragmatic Approach.

*المؤلف المرسل: سامي قديم، الإيميل: saminemouchi187@mail.com

1. مقدمة:

يُشَكِّلُ التَّكْرَارُ بَنِيَّةً حِجَاجِيَّةً لَهَا بَالُغُ الْأَثَرِ فِي بِنَاءِ الْخِطَابِ، إِذْ بِهِ يَسْتَقَرُّ الْمَعْنَى وَتَتَوَطَّنُ الرُّؤْيُ الْحِجَاجِيَّةُ لَدَى الْمُتَلَقِّي، وَفِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ؛ يُعْطَى لِلْمُتَكَلِّمِ فُسْحَةٌ لَتَجْهِيْزِ حُجَّتِهِ، وَبِذَلِكَ "يَنْجَحُ فِي جَذْبِ انْتِبَاهِ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ إِلَى مَوْضُوعِ الْخِطَابِ، فَالْأَثَرُ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُؤَفَّرَ لُغَةُ النَّصْحِ الْمُبَاشِرِ، أَوْ التَّوْجِيهِ الْمَكْشُوفِ، يَنْجَحُ التَّكْرَارُ فِي إِيْصَالِهِ، فَهُوَ إِذَا: يَتَجَاوَزُ مُجَرَّدَ الْإِخْبَارِ وَالْإِبْلَاحِ وَالتَّأْثِيرِ إِلَى الدَّفْعِ بِالْمُتَلَقِّي إِلَى تَنْفِيْذِ الْفِعْلِ وَتَغْيِيرِ السُّلُوكِ"¹، وَالْخَوَارِجُ قَدْ تَوَسَّلُوا التَّكْرَارَ لَتَعْزِيزِ طَاقَةِ خِطَابِهِمُ الْحِجَاجِيَّ، حَيْثُ تَنَوَّعَ اسْتِعْمَالُ التَّكْرَارِ فِي شِعْرِهِمْ بَيْنَ تَكْرَارِ الصَّوْتِ (الْحَرْفِ)، اللَّفْظِ وَالتَّرْكِيبِ، مَا أَكْسَبَ الْخِطَابَ تَنَاسُقًا وَارْتَقَى بِهِ إِلَى الْحِجَاجِ وَالْإِقْنَاعِ.

فالتَّكَرُّارُ فِي شِعْرِ الخَوَارِجِ يُعَدُّ أَحَدَ الرِّكَائِزِ البَلَاغِيَّةِ الأَسَاسِيَّةِ الَّتِي لَجَأُوا إِلَيْهَا بِغَرَضِ تَأْكِيدِ خِطَابِهِمْ، وَجَعَلَهُ حِجَاجِيًّا هَدَفَهُ الإِقْنَاعَ، حَيْثُ إِنَّ إِعَادَةَ اللَّفْظِ تُبْرِزُ شِدَّةَ حُضُورِ الفِكْرَةِ الَّتِي يَرِيدُونَ إِيْصَالَهَا، وَبِذَلِكَ تَتَرَسَّخُ الدَّعْوَى وَالفِكْرَةُ فِي ذِهْنِ المِثْلَقِي، وَتَزِيدُ الحُجَّةَ تَأْكِيدًا، فَكُلَّمَا كَانَ المَوْضُوعُ مَخْصُوصًا كَانَ أُبْعَثَ عَلَى التَّأَثُّرِ وَالْإِنْفِعَالِ، وَسَتَحْصِي هَذِهِ الحِزْبِيَّةُ مِنَ البَحْثِ أَنْوَاعَ التَّكَرُّارَاتِ المَوْجُودَةِ فِي مَدُونَةِ شِعْرِ الخَوَارِجِ، مُبَيِّنَةً فاعِلِيَّتَهَا وَحِجَاجِيَّتَهَا فِي الخِطَابِ.

وَنَظَرًا لِمَا يَكْتَسِبُهُ التَّكَرُّارُ مِنْ أَمِيَّةٍ؛ فَقَدْ تَتَبَعْتُ هَذَا الأسْلُوبَ فِي نَمَاجٍ مِنْ شِعْرِ الخَوَارِجِ، وَرَصَدْتُ أَمْ أَنْوَاعَ التَّكَرُّارِ اسْتِعْمَالًا فِي شِعْرِهِمْ، وَمِنْ خِلَالِ هَذَا التَّقْدِيمِ لِمَوْضُوعِ التَّكَرُّارِ وَصَلْتِهِ بِشِعْرِ الخَوَارِجِ فِي العَصْرِ الأُمَوِيِّ وَمَدَى فاعِلِيَّتِهِ فِي خِطَابَاتِهِمْ؛ نَصُوعُ الأَسْئَلَةِ الآتِيَةِ:

- مَا التَّكَرُّارُ الحِجَاجِيُّ؟ وَمَا هِيَ أَمْ أَنْوَاعُهُ تَوْظِيْفًا عِنْدَ الخَوَارِجِ؟

- وَكَيْفَ ارْتَقَى هَذَا الأسْلُوبُ إِلَى الحِجَاجِيَّةِ؟ وَكَيْفَ اسْتَمْتَرُوا فِي خِدْمَةِ قَضِيَّتِهِمْ؟

02. حِجَاجِيَّةُ التَّكَرُّارِ (Répétition): يُعَدُّ التَّكَرُّارُ وَسِيلَةً لِلتَّماسِكِ النَّصِّيِّ، مُرْتَبِطٌ عِنْدَ البَلَاغِيِّينَ بِالتَّوَكِيدِ، يَلْجَأُ إِلَيْهِ الشُّعْرَاءُ وَالأَدَبَاءُ بِمَدْفِ التَّأْثِيرِ وَالتَّأْكِيدِ وَالإِقْنَاعِ، وَهُوَ عِنْدَ العَرَبِ الأَوَائِلِ فَنٌّ يَدُلُّ عَلَى الفَصَاحَةِ وَالصَّلَاحَةِ فِي العَرَبِيَّةِ، وَلَمَعْرِفَةِ قِيَمَةِ التَّكَرُّارِ حِجَاجِيًّا؛ لَا بُدَّ مِنْ تَتَبُّعِ المِصْطَلَحِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا، مَعَ بَيَانِ الأَمِيَّةِ الَّتِي يَكْتَسِبُهَا، حَتَّى نَصِلَ إِلَى وَظِيفَتِهِ الحِجَاجِيَّةِ فِي شِعْرِ الخَوَارِجِ.

1.2 مَفْهُومُ التَّكَرُّارِ: التَّكَرُّارُ هُوَ "التَّجْدِيدُ لِلْفَظِ الأَوَّلِ، وَفِيهِ ضَرْبًا مِنَ التَّأْكِيدِ"²، وَيُؤْتَى بِهِ لِيُسَهِّمَ فِي تَمَاسِكِ الخِطَابِ، مَا يَكْسِبُهُ وَظِيفَةً تَأْكِيدَ الحُجَجِ مَوْضُوعِ الخِطَابِ.. وَفِي قَامُوسِ اللِّسَانِيَّاتِ لُجَانِ دِيْبُوا (Jean-Paul Dubois) تَنَاوَلَهُ مِنْ جَانِبٍ بَلَاغِيٍّ: قَالَ:

"وَفِي الخِطَابَةِ: التَّكَرُّارُ أُسْلُوبٌ وَشَكْلٌ كَلَامِيٌّ، يُبْنَى عَلَى التَّكْثِيرِ وَالإِعَادَةِ، وَيُؤْتَى بِهِ لِلزَّخْرَفَةِ"³.

يَلَاحُظُ عَلَى التَّعْرِيفَاتِ اللُّغَوِيَّةِ العَرَبِيَّةِ؛ أَنَّ التَّكَرُّارَ جَاءَ بِمَعْنَى الإِعَادَةِ وَالتَّكْثِيرِ، وَهِيَ مَعَانٍ لَا تَخْتَلِفُ عَنِ مَدْلُولَاتِ المَعَاجِمِ العَرَبِيَّةِ.

أَمَّا التَّكَرُّارُ فِي الإِصْطِلَاحِ؛ فَيُعَرَّفُ عِنْدَ البَلَاغِيِّينَ كَابْنِ الأَثِيرِ، عَلَى أَنَّهُ: "دِلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى المَعْنَى مُرَدَّدًا"⁴، بِمَعْنَى أَنَّ يَأْتِي المُتَكَلِّمُ بِلَفْظٍ أَوْ أُسْلُوبٍ ثُمَّ يُعِيدُهُ بَعِينَهُ، "سَوَاءً كَانَ اللَّفْظُ مُتَّفِقَ المَعْنَى أَمْ مُخْتَلَفًا، أَوْ يَأْتِي بِمَعْنَى ثُمَّ يُعِيدُهُ"⁵، وَيُعَرِّفُهُ "إِبْرَاهِيمُ الفَقِي": "إِعَادَةُ ذِكْرِ لَفْظٍ أَوْ عِبَارَةٍ أَوْ جُمْلَةٍ أَوْ فِقْرَةٍ، وَذَلِكَ بِاللَّفْظِ نَفْسِهِ أَوْ بِالتَّرَادُفِ، وَذَلِكَ لِتَحْقِيقِ أَغْرَاضٍ كَثِيرَةٍ، أَهْمُهَا: تَحْقِيقُ التَّماسِكِ النَّصِّيِّ بَيْنَ عَنَاصِرِ النِّصِّ المُتَبَاعِدَةِ"⁶، فَالتَّكَرُّارُ حَسَبَ "الفَقِي" غَيْرُ مُحَدَّدٍ بَعْدَ مَعْيَنِ مِنَ الكَلِمَاتِ، مَا يَعْنِي أَنَّهُ مِنْ أَمْ عَوَامِلِ التَّماسِكِ وَالتَّرَابِطِ النَّصِّيِّ.

فَالتَّكَرُّارُ يُسَاعِدُ عَلَى خَلْقِ الإِنْسِجَامِ الحِجَاجِيِّ، وَيُسَهِّمُ فِي إِنْجَاحِ العَمَلِيَّةِ التَّوَاصِلِيَّةِ، مَا يَجْعَلُ القَارِئَ يُدْعُو لِسُلْطَةِ اللَّفْظِ المُرَدَّدِ، وَالدَّلِيلُ إِذَا تَكَرَّرَ؛ ثَبَتَ وَتَقَرَّرَ.

2.2 البُعْدُ الحِجَاجِيُّ لِلتَّكَرُّارِ: يَكْتَسِبُ التَّكَرُّارُ أَمِيَّةً كَبِيرَةً عِنْدَ مُنْظَرِي الحِجَاجِ، فَقِيَمَتُهُ تَفُوقُ زَخْرَفَةَ القَوْلِ وَالتَّلَاعِبَ بِالأَلْفَاظِ، مَا يَكْسِبُهُ صِفَةُ الحِجَاجِيَّةِ مَتَى اعْتَمَدَ "عَلَى سِيَاقَاتٍ مُحَدَّدَةٍ، وَتَوَقَّرَتْ فِيهِ شُرُوطٌ مُعَيَّنَةٌ، فَتَكَرَّرَ اللَّفْظَةُ ذَاتَهَا فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ؛ يُعَدُّ مِنْ أَفَانِينَ القَوْلِ الرَّافِدَةِ لِلحِجَاجِ المُدْعَمَةِ لِلطَّاقَةِ الحِجَاجِيَّةِ فِي الدَّلِيلِ وَالبُرْهَانِ، لِمَا لَهُ مِنْ وَقْعٍ فِي القُلُوبِ، لَا سِيَّمَا فِي سِيَاقَاتٍ خَاصَّةٍ كَالْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ"⁷، وَهَذِهِ السِّيَاقَاتُ قَدْ تَأْتِي لِلتَّنْبِيهِ، الإِسْتِمَالَةِ، التَّذْكِيرِ وَالتَّحْذِيرِ.

وفي "البلاغة الجديدة" حسب "شايم بيرلمان" (Ch. Perlmen) و"لوسي تيتكا" (L. Tyteca) فالتكرار: "طريقة من طرق العرض ذات الأثر الحجاجي، فجعل المعنى الواحد يتكرر مراراً؛ من شأنه أن يلفت الانتباه إلى الأهمية التي يكتسبها الموضوع الذي تراكمت حوله هذه الحكايات، وبذلك يتسم الموضوع في ذهن السامعين، ويكون أبعث على الإنفعال"⁸، ما يعني أنه يمد القول بسلطة قوية داعمة للخطاب، ويساعد على الإفهام وتأكيد القضية أو الرأي المطروح. وعليه، فإن غاية التكرار والأبعاد التي يسعى لتحقيقها؛ هي بيان المقاصد التي يحملها الكلام، مع إحداث تناسق بين أجزاء الخطاب الواحد، وبذلك يحدث التأكيد والإقناع.

03. حجاجية التكرار في شعر الخوارج:

1.3 التكرار الحرفي (الصوتي):

لا يقتصر تكرار الحروف على مجرد تحسين الكلام، بل يتعدى ذلك إلى ترك الأثر البالغ في نفسية المتلقي، فالشاعر حين يكرر صوتاً بعينه أو مجموعة من الأصوات؛ فإنه: "يريد أن يؤكد حالة إيقاعية أو يبرز منطقة من مناطق النص بنسيج إيقاعي يوفر إمتاعاً لآذان المتلقي"⁹، ما يمنح اللغة وظيفة حجاجية، وسأخذ نماذج لهذا النوع حسب صفة الحرف - الصوت - وقوته.

- حرف "الهاء" المهموس:

- قال حجة بن أوس يرثي رجاء النمري وأصحابه من الشراء¹⁰: [الطويل]

- 01 إذا ذكرت نفسي رجاء أكاد على بعض الأمور ألومها
- 02 فليله عيناً من رأى مثل عصابة أقام بضبع ابن الزبير مقيمها
- 03 ترى عافيات الطير يحجلن يقلبن أجساماً قليلاً لحومها
- 04 فوا حرباً ألا أكون شهدتهم بمكة والخيال تدمي كلومها

يبكي "حجة بن أوس" رمزاً من الخوارج - سبق تحليل الأبيات -، موظفاً حرف "الهاء" مكرراً ثماني مرات، وهو حرف مهموس رخو من حروف أقصى الحلق، والشاعر بهذا التكرار؛ يعبر عن آهاته وخلجاته النفسية، حيث يغلب طابع اللوم والعتاب على هذه الأبيات، وهو بذلك يحاججها في تركها "رجاء"، ويبكي لمصرع وقتل صحبه، واصفاً الحالة التي ألوا إليها، وبهذا النغم الموسيقي الذي أحدثه الحرف المردد المتبوع بالمد؛ أضفى على الأبيات نبرة الحزن المصحوبة بالألم، وبها يجعل المتلقي يتأثر لحال المرنى، ويتعاطف وحالة الشاعر النفسية.

- حرف السين (طرف اللسان):

- قال عمران بن حطان يرثي أبا بلال مرداساً¹¹: [البسيط]

- 01 أصبحت عن وجل مني وإيجاس أشكو كلوم جراح ما لها آسي
- 02 يا عين بكى لمرداس ومصرعه يا رب مرداس الحفني بمرداس
- 03 تركتني هائماً أبكي لمرزئة في منزل موحش من بعد إيناس

04 أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مِمَّنْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مُرْدَاسُ بِالنَّاسِ

يُصَوِّرُ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مَرْتَبَةً تَلِيْقُ بِزَعِيمٍ خَارِجِيٍّ وَبَطْلٍ ثَائِرٍ، مَوْظَعًا حَرْفَ "السَّيْنِ" الْمَهْمُوسَ، وَهُوَ مِنْ حُرُوفِ "الصَّفِيرِ"، مُوسِيقَاهُ تُحْدِثُ أَثْرًا وَاضِحًا فِي ذَهْنِ الْمُتَلَقِّي، فَهَذَا الْحَرْفُ الْمُكَرَّرُ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً يَتَلَاءَمُ وَحَالَةَ الشَّكْوَى وَالْيَأْسِ وَالْإِنْكَسَارِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، قَالَ: (إِيْحَاسٍ، آسِي، يَاسِي)، وَهَذَا التَّرْدَادُ جَاءَ مَعَهُ حَرْفُ الْيَاءِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الْإِنْزِلِ وَالْتَّحَسُّرِ، قَالَ: (الْحَقْنِي، تَرَكْنِي، أَبْكِي، عِبْرَتِي)، فَفَقْدُ رَمَزِ الثَّوَرَةِ وَالْبُطُولَةِ جَعَلَ الْقُلُوبَ تَنْكَسِرُ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ؛ التَّكَرُّارُ اللَّفْظِيُّ الْإِسْمِيُّ لِلخَارِجِيِّ "مِرْدَاسٍ" أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، حَيْثُ حَاجَجَ الشَّاعِرُ بِتَكَرُّارِ اسْمِ الْمَرْتَبِيِّ لِيُبْرِزَ قِيَمَتَهُ السِّيَاسِيَّةَ وَالْمُجْتَمَعِيَّةَ، وَتَوْظِيفَ التَّكَرُّارِ اللَّفْظِيَّ مَلَازِمًا لِلتَّكَرُّارِ الْحَرْفِيِّ أَكْسَبَ الْقَصِيدَةَ قُوَّةً تَأْثِيرِيَّةً، فَالْنِّعْمَةُ الَّتِي يُحْدِثُهَا حَرْفُ السَّيْنِ تُعَبِّرُ عَنْ عِظَمِ الْمُصِيبَةِ فِي فَقْدِ زَعِيمٍ وَبَطْلٍ خَارِجِيٍّ.

- حَرْفُ "الْبَاءِ" الشَّفَوِيُّ:

- قَالَ قَطْرِيُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ مُعْتَدًّا بِنَفْسِهِ مُحَمَّلًا رَسُولُ بَشَرَ بْنِ مِرْوَانَ رِسَالَةً يَقُولُ فِيهَا¹²: [الطَّوِيل]

01 أَلَا قُلْ لِبَشَرٍ إِنَّ بَشْرًا مُصَبِّحٌ بِخَيْلٍ كَأَمْثَالِ الدَّنَابِ شُرْبٌ

02 يُفَحِّمُهَا عَمَرُو الْقَنَا وَعَبِيدَةُ مُفْدًى خِلَالِ النَّفْعِ بِالْأَمِّ وَالْأَبِ

03 هُنَالِكَ لَا تَبْكِي عَجُوزٌ عَلَى فَابِّشٍ بِجَدْعٍ لِلْأُنُوفِ مُوَعَّبِ

04 رَجَعْنَا إِلَى الْأَهْوَازِ وَالْخَيْلِ عَلَى الْخَيْرِ مَا لَمْ تَرْمَنَا

يَعْتَدُّ "قَطْرِيُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ" بِنَفْسِهِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ، وَيَتَوَعَّدُ "بَشَرَ بْنَ مِرْوَانَ" بِالْهَزِيمَةِ، سَاخِرًا مِنْهُ، قَالَ: (إِنَّ بَشْرًا مُصَبِّحًا)، وَأَنَّهُ سِيَحْمَلُ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَرَكِبٍ كَالدَّنَابِ الْجَائِعَةِ السَّرِيعَةِ، تَارِكًا وَرَاءَهُ قَتْلَى تَنْدَبُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ، فَجَاءَ بِحَرْفِ "الْبَاءِ" مُكَرَّرًا ثَلَاثَ عَشْرَةَ مَرَّةً، مَا أَكْسَبَ الْأَبْيَاتَ قُوَّةً وَأَنْعَامًا تَنْتَاسِبُ وَجْوَ الْحِمَاسَةِ وَالِإِسْتِعْدَادَ لِلْمُوَاجَهَةِ، فَحَرْفُ الْبَاءِ مِنَ الْحُرُوفِ الشَّفَوِيَّةِ الشَّدِيدَةِ الْإِنْفِجَارِيَّةِ، الْمُوَحِيَّةُ بِالْإِنْشَاقِ وَالظُّهُورِ، يَحْمَلُ شُحْنَ الْعُزْبِ وَالنَّقْمَةِ عَلَى الْعَدُوِّ، مُحَقِّقًا بِهِ الْإِنْسِجَامَ الصَّوْتِيَّ وَالْقُوَّةَ الْحِجَاجِيَّةَ، حَيْثُ يَرَسُمُ بِالرُّوِيِّ الْمَحْرُورِ حَالَةَ الْإِنْكَسَارِ الَّتِي سَيُلْحِقُهَا بِأَعْدَائِهِ، مُتَّحِدًا فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ "بَشْرًا" مُتَهَكِّمًا عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ لَوْلَا "الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ" لَمَا تَجَرَّأَتْ عَلَى الْخُرُوجِ لِقِتَالِنَا، مُتَقَرًّا بِشَجَاعَةِ وَقُوَّةِ "الْمُهَلَّبِ"، قَالَ: (مَا لَمْ تَرْمَنَا بِالْمُهَلَّبِ).

نَلْحِظُ مِنْ خِلَالِ هَذَا التَّحْلِيلِ أَنَّ لِلصَّوْتِ وَظِيفَةَ حِجَاجِيَّةَ بِالْغَةِ الْأَثَرِ؛ وَتَوْظِيفُهُ قَدْ آتَى أَكْلَهُ دَاخِلَ الْخِطَابِ، حَيْثُ يُمْكِنُ بَيَانُ وَظِيفَتِهِ الْحِجَاجِيَّةَ دَاخِلَ السِّيَاقِ مِنْ خِلَالِ الْجَدُولِ الْآتِي:

الصَّوْتُ	تَكَرَّارُهُ	صِفَتُهُ	سِيَاقُ تَوْظِيفِهِ	الْوُظِيفَةُ الْحِجَاجِيَّةُ
الهَاءُ	ثَمَانِي مَرَّاتٍ	احتكاكي - مهموس - مُرَقَّق	التَّحَسُّرُ / الرِّثَاءُ	بَيَانُ مَكَانَةِ وَدَرَجَةِ الْمَرْتَبِيِّ، مَعَ إِدْبَاءٍ وَالفَجِيعَةِ لِفَقْدِهِ.
السَّيْنُ	أَحَدَ عَشْرَةَ مَرَّةً	احتكاكي - مهموس	التَّحَسُّرُ / الرِّثَاءُ	وَصْفُ حَالَةِ الْإِنْكَسَارِ وَإِبْرَازَ مَكَانَةِ
الْبَاءُ	عَشْرَ مَرَّاتٍ	انفجاري - مجهور	الفَخْرُ وَالْبُطُولَةُ	الِإِعْتِدَادُ بِالنَّفْسِ، الشَّجَاعَةُ

شكل 01: الصَّوت؛ السِّياق الوظيفي والتركيب الحجاجي.

2.3 التَّكرار اللَّفْظِي: التَّكرار اللَّفْظِي من أبسط التَّكرارات استعمالاً، وهو اللَّون الأكثر شيوعاً في الشَّعر العربي، يُوظِّفه الأديب والشَّاعر لِمَا له من وقع في نفوس المُتلقيين، حيث يمنح النص: "امتداداً وتنمياً في الصُّور والأحداث، لذلك يُعدُّ نقطة ارتكازٍ أساسية لتوالد وتنامي حركة النص"¹³، ما يعني أنَّه بالتركيز على اللَّفظ المُكرَّر؛ تظهر الفكرة العامَّة أو المركزيَّة للنص/ الخطاب، ومنه تسهَّل وتتضح الفكرة المُراد إيصالها وإبلاغها للمتلقي.

- تكرار اسم العلم:

- قال قطريُّ بن الفُجاءة يُعاتبُ "سميرةَ بن الجعد" لمجالسته "الحجاج"¹⁴: [الطَّويل]

- 01 لَشَّتَانِ مَا بَيْنَ ابْنِ جَعْدٍ وَبَيْنَنَا إِذَا نَحْنُ رُحْنَا فِي الْحَدِيدِ الْمُظَاهِرِ
02 وَرَاحَ ابْنُ جَعْدٍ الْخَيْرِ نَحْوَ أَمِيرِهِ أَمِيرٍ بِتَقْوَى رَبِّهِ غَيْرِ أَمِيرِ
03 أَبَا الْجَعْدِ أَيْنَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالنُّهْيُ وَمِيرَاتُ آبَاءِ كِرَامِ الْعَنَاصِرِ
04 فَرَاغَ أَبَا جَعْدٍ وَلَا تَكُ مُغْضِباً عَلَى ظُلْمَةٍ أَغْشَتْ جَمِيعَ النَّوَاطِرِ
05 أَبَا الْجَعْدِ سِرُّ تَلَقَّ الْجِهَادِ غَنِيمَةً تُفِدُّكَ إِبْتِغَاءً رَابِحاً غَيْرَ خَاسِرِ

يُقيمُ الشَّاعرُ في مُستهلِّ أبياته مُقارنَةً بين مَنْ اختارَ سبيلَ الموت والشَّهادة، وبين مَنْ اختارَ جِوَارَ سَادَةِ الْحُكْمِ، قال: (وراح ابن جعد الخير نحو أميره)، يعني به صاحبه "سميرة" الذي فارق جماعة الخوارج والتحق بالحجاج، وتوظيف الشَّاعر لِلْفظة (شَّتَان) المؤكَّدة؛ فقد جذب انتباه القارئ/ المُتلقي إلى وجود مُشكلة يسعى الشَّاعرُ لبيان علَّتِها ومُحاولة حلِّها. فيتساءل الشَّاعر مُتَعَجِّباً، قال: (أبا الجعد أين العلم والنُّهى)، بمعنى: أنت صاحبُ دِرَايَةٍ وعِلْمٍ، فما الذي دعاكَ لثَفَارِقِ جَمَاعَتِنَا، وهو بذلك يُعاتبه على فعله، ناصحاً له، قال: (فراغ أبا جعد...) مُوظِّفاً فعل الأمر/ الطَّلَب الذي يحملُ بصيصَ أملٍ بعودة "سميرة" إلى جادَّة الصَّواب.

إنَّ توظيفَ "قطري" لِلْقَب مُكرَّرًا؛ جاء في سياقاتٍ مختلفة، منها: العتاب، النصيح والتَّوجيه، ما يُوضِّح مكانة المرسل إليه، فالغاية التأثير والإقناع، والتَّكرار قد ساعد على التَّبليغ والإفهام، إفهام المقصود من ترداد اسم "أبي الجعد"، وأسَّهم في ترسيخ الفكرة في الأذهان، فكرة أنَّ مكانَ صاحبه بِجَنَبِ "الحجاج" خطأ لا بدَّ من التَّوبة منه، وبهذا بانَتْ مقاصدُ "قطري" من هذا الخطاب، فما إنَّ بلغتْ الأبياتُ "سميرةَ بن الجعد" حتَّى ركبَ ولحقَّ بصحبه من الخوارج.

- تكرار الفعل الناقص:

- يقول "زياد الأعسم" يرثي "داود الثَّعْمَانِ" لَمَّا بلغه أنَّ قوماً يَنْتَقِصُونَ قدر صاحبه¹⁵: [الطَّويل]

- 01 فَإِنْ يَكُ دَاوُدُ مَضَى لِسَبِيلِهِ فَقَدْ كَانَ ذَا شَوْقٍ إِلَى اللَّهِ تَالِيَا
02 وَقَدْ كَانَ ذَا أَهْلٍ وَمَالٍ وَغَبْطَةٍ وَكَانَ لِمَا يَفْنَى مِنَ الْعَيْشِ قَالِيَا
03 كَأَنَّ الْفَتَى دَاوُدَ لَمْ يَكُ فِيكُمْ وَلَمْ نَرَهُ يَوْمًا مِنَ الصَّوْمِ بَالِيَا

04 أَلَا فَادْكُرْنَ دَاوُدَ إِذْ بَاعَ نَفْسَهُ وَكَانَ بِهَا يَبْغِي الْجَنَانَ الْعَوَالِيَا

يستهلُّ الشَّاعِرُ خطابهُ بِجُمْلَةٍ شَرْطِيَّةٍ يُبَيِّنُ فِي جَوَابِهَا أَنَّ "داوُدَ بْنَ النُّعْمَانَ" كَانَ مِنَ الْمُشْتَاقِينَ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، قَالَ: (فَقَدْ كَانَ ذَا شَوْقٍ إِلَى اللَّهِ تَالِيًا)، لِيَنْتَقِلَ إِلَى الْإِخْبَارِ عَنْ اجْتِهَادِ الْمَرِثِيِّ فِي الدُّنْيَا كَارِهًا لِمَلَذَاتِ الْعَيْشِ الْفَانِيَةِ، قَالَ: (وَكَانَ لِمَا يَفْنَى مِنَ الْعَيْشِ قَالِيًا)، مَعَ أَنَّهُ كَانَ ذَا نَسَبٍ وَمَالٍ، قَالَ: (وَقَدْ كَانَ ذَا أَهْلٍ وَمَالٍ...)، وَيَتَعَجَّبُ فِي الْبَيْتِ الثَّالِثِ عَنْ قَوْلِهِمْ فِي "داوود" وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ وَلَمْ يَزُوهَ يَوْمًا مُتَعَبِّدًا صَائِمًا، وَهُوَ بِذَلِكَ يَسْتَنْكِرُ فِعْلَهُمْ وَيُثَبِّثُ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ خَيْرِيَّةَ الرَّجُلِ، لِيَنْتَهِيَ فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ إِلَى مَا بَدَأَ بِهِ خِطَابُهُ وَهُوَ الْفِكْرَةُ الْعَامَّةُ لِهَذَا النَّصِّ، وَهِيَ ابْتِغَاءُ دَاوودَ لِحَنَانِ الْخُلْدِ، وَأَنَّهُ بَاعَ نَفْسَهُ لِلْغَايَةِ الْأَسْمَى "الشَّهَادَةِ"، وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ (فِي مَعْنَى ضَمْنِيٍّ) أَنْ يَكُونُوا عَلَى الْفَجِيعَةِ الَّتِي حَلَّتْ بِهِمْ لِفَقْدِهِمْ رَجُلًا عَظِيمَ الشَّانِ.

فَالشَّاعِرُ بِتَكَرُّارِ الْفِعْلِ الْمَاضِي النَّاقِصِ مَقْرُونًا بِالْحِجَّةِ؛ يَنْزِعُ اعْتِقَادًا وَقَوْلًا مَكْذُوبًا جَرَى بَيْنَ أَلْسِنَةٍ مَنْ يَرِيدُ تَشْوِيهِهُ بِطُولَاتِ رَجُلٍ مِنْ أُبْرَزِ الْخَوَارِجِ، وَيُصَحِّحُ الْمُتَلَقِّ بِغَرَسٍ غَيْرِهِ فِي النَّفْسِ.

فَالْمُلَاحَظَةُ عَلَى خِطَابِ "زِيَادٍ" أَنَّهُ أَتَى بِأَسْلُوبِ الْبَيَانِ وَالتَّصْحِيحِ، بَيَانِ الْإِفْتِرَاءِ وَالطَّعْنِ، وَتَصْحِيحِ مَا دَرَجَ عَلَى أَلْسِنَةِ الشَّائِنِينَ الْمُبْغِضِينَ لِرَجُلٍ: "كَانَ يَكْرَهُ الدُّنْيَا وَالظُّلْمَ وَالظُّلْمَةَ، بِإِذْلَالٍ لِمَالِهِ وَنَفْسِهِ فِي سَبِيلِ قَضِيَّتِهِمْ"¹⁶، فَتَوْظِيْفُ الْفِعْلِ "كَانَ" أَكْسَبَ النَّصَّ امْتِدَادًا وَتَنَامِيًّا فِي سَرْدِ الْأَحْدَاثِ، وَمَنْحَ الْخِطَابِ نُقْطَةً ارْتِكَازٍ أُسَاسِيَّةً لِتَوَالِدِ الصُّورِ الَّتِي تَجْعَلُ الْمُتَلَقِّيَّ يُدْعِنُ وَيَزْجَعُ عَنْ مَا كَانَ يُرَوِّجُ لَهُ، وَبِذَلِكَ يُقْبَلُ عَلَى الْإِقْتِدَاءِ بِالْمَرِثِيِّ وَاتِّهَاجِ طَرِيقِهِ فِي الْجِهَادِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْآخِرَةِ.

وَلِنَصِلَ إِلَى حِجَاجِيَّةِ هَذَا التَّرْكِيبِ، نُصَوِّرُ انْتِقَالَ الشَّاعِرِ مِنَ الْفِكْرَةِ الْعَامَّةِ (دَاوُدُ بَاعَ نَفْسَهُ) إِلَى التَّفْصِيلِ فِي الْحُجْجِ بِسَلَمٍ حِجَاجِيٍّ كَالآتِي:

ن = دَاوُدُ بَاعَ نَفْسَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

4 ح	يَبْغِي الْجَنَانَ الْعَوَالِيَا
3 ح	زَاهِدًا
2 ح	ذَا أَهْلٍ وَمَالٍ
1 ح	ذَا شَوْقٍ إِلَى اللَّهِ

شكل 02: الانتقال من الفكرة العامة إلى التفصيل في الحجج.

- التَّكَرُّارُ الْإِسْتِهْلَاقِيُّ (Anaphore):

وَيُسَمَّى تَكَرُّارُ الْبَدَايَةِ، وَهُوَ نَمَطٌ مِنَ التَّكَرُّارِ تَتَرَدَّدُ فِيهِ: "الْلَفْظَةُ أَوْ الْعِبَارَةُ فِي بَدَايَةِ الْأَسْطَرِ الشَّعْرِيَّةِ بِشَكْلِ مُتَتَابِعٍ"¹⁷، وَلَمْ يَرِدِ التَّكَرُّارُ الْإِسْتِهْلَاقِيُّ بِلَفْظَةٍ وَاحِدَةٍ فِي خِطَابِ الْخَوَارِجِ -بَعْدَ الْإِحْصَاءِ- إِلَّا فِي تَرْكِيبٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ قَوْلُ "عَمْرُو الْقَنَا بْنِ عُمَيْرَةَ الْعَنْبَرِيِّ" لَمَّا ذِيعَ أَنَّهُ هَرَبَ مَعَ "قَطْرِ بْنِ الْفُجَاءَةِ" وَ"عُبَيْدَةَ بْنِ هَالَالٍ" إِلَى بِلَادِ "سَابُورٍ"، مُتَوَعِّدًا أَعْدَاءَهُ، بِأَنَّ الْكَرَّ مَازَالَ قَائِمًا، مُعَلِّلًا سَبَبَ خُرُوجِ أَصْحَابِهِ مِنَ الْمَعْرَكَةِ¹⁸: [الرَّجْزُ]

01 الْيَوْمَ عَمْرُو وَعَدَا عُبَيْدَهُ

02 كَلَاهُمَا شَوْكُتُهُ شَدِيدُهُ

03 كَلَاهُمَا غَايَتُهُ بَعِيدُهُ

04 كِلَاهُمَا طَعْنَتْهُ عَيْنِدَه

05 كِلَاهُمَا وَقَعْتُهُ مُبِيدَه

06 كِلَاهُمَا فِرَارُهُ مَكِيدَه

يتوَعَّدُ الشَّاعِرُ فِي مُسْتَهْلٍ مَرْجُوزِه أَعْدَاءَه، مُخْبِرًا أَنَّ الْأَيَّامَ دُولٌ، وَأَنَّ الْحَرْبَ لَا زَالَتَ قَائِمَةً، قَالَ: (الْيَوْمَ عَمُرُو وَغَدًا عُيْبِدَه)، وَهُوَ بِهَذَا الْقَوْلِ يَتَحَدَّى الْغَامِزِينَ وَيُحَذِّرُهُمْ بِأَنْ لَا يَأْمِنُوا بِطُشَه وَصَحْبَه، فَالْغَالِبُ عَلَى هَذَا الْخِطَابِ التَّحَدِّي وَالْبُطْش، قَالَ: (كِلَاهُمَا شَوْكَتُهُ شَدِيدَه)، وَلَا خَوْفَ مِنَ الْهَزِيمَةِ (فَكِلَاهُمَا غَايَتُهُ بَعِيدَه) وَهِيَ الشَّهَادَةُ، وَفِي مِيدَانِ الْقِتَالِ (كِلَاهُمَا طَعْنَتُهُ عَيْنِدَه)، وَإِذَا حُلُّوا بِقَوْمٍ أَبَادُوهُمْ، فَكِلَاهُمَا (وَقَعْتُهُ مُبِيدَه)، لِيُعْلَلَ فِي الْأَخِيرِ عَلَى تَهْكُمِ الْعَدُوِّ، مُوضِّحًا أَنَّ سَبَبَ فِرَارِ "قَطْرِي" وَ"عُبِيدَه" كَانَ مَكِيدَةً لِسُخْبِ "المُهَلَّبِ" وَمَنْ مَعَهُ إِلَى "سَابُور" ذَاتِ الْجِبَالِ الْوَعْرَةِ قَصْدَ إِنْهَاكِهِ وَالْفَتْكِ بِهِ وَبُجْنَدِهِ.

إِنَّ تَوْظِيفَ التَّكْرَارِ الْإِسْتِهْلَالِيَّ لِلْفُظَّةِ "كِلَاهُمَا" بِصُورَةٍ رَأْسِيَّةٍ مُتتَالِيَةٍ سِتَّ مَرَّاتٍ أَرَادَ بِهَا الشَّاعِرُ جَعْلَ نَفْسِهِ وَعُيْبِدَه لُحْمَةً وَاحِدَةً، تَضْرِبُ لِنَفْسِ الْغَايَةِ وَالْحَاجَةِ، مَا يُثَبِّتُ أَنَّ التَّكْرِيرَ لَيْسَ مِنْ نَافِلَةِ الْقَوْلِ، بَلْ تَقَاطَرٌ لَغَايَةٍ حِجَاجِيَّةٍ، وَهِيَ تَرْهِيْبُ الْعَدُوِّ وَتَحْدِيدُهُ، مُتَجَاوِزًا بِذَلِكَ الْإِخْبَارَ وَالْإِبْلَاحَ وَالْإِشَادَةَ بِالْبَطُولَةِ إِلَى التَّحَدِّي، وَهَذَا الْأَخِيرُ جَاءَ اسْتِجَابَةً لثَوْرَةِ النَّفْسِ الَّتِي تَأْتِي الْإِهَانَةَ، مَا جَعَلَهُ يَضْعُ الْعَدُوَّ فِي مَكَانِ الْعَجْزِ بِمَا ذَكَرَهُ مِنْ صِفَاتٍ رَفَعَ بِهَا مَعْنَوِيَّاتِهِ وَحَطَّمَ بِهَا نَفْسِيَّتَهُمْ.

وَمَا سَاعَدَ كَذَلِكَ بِالنُّهُوضِ بِهَذَا التَّكْرَارِ إِلَى الْحَاجَةِ؛ هُوَ نَجَاعَةُ الْإِيْجَازِ الَّذِي اتَّسَمَتْ بِهِ هَذِهِ الْأَرْجُوزَةُ، كَلَامٌ قَلِيلٌ وَمَعَانٍ وَاسِعَةٌ، فَحِجَاجٌ مُوجِزٌ، مَعَ حُسْنِ تَرَابُطٍ أَقْرَبَ إِلَى الْقَبُولِ وَالصِّقِّ بِالذَّاكِرَةِ.

- تَكَرَّرَ وَحْدَةُ الْغَايَاتِ "الْمَوْتُ": الْمَوْتُ غَايَةُ كُلِّ خَارِجِيٍّ وَهُوَ الْحَيَاةُ فِي فِلْسَفَتِهِمْ وَعَقِيدَتِهِمْ:

- قَالَ "الْأَشْلُ الْبَكْرِيُّ الْأَزْرَقِيُّ" مُفْتَخِرًا بِشَجَاعَتِهِ وَأَنَّ الْمَوْتَ غَايَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ¹⁹: [الرَّجَز]

01 أَنَا أَبُو بَرْزَةٍ إِذْ جَدَّ الْوَهْلُ

02 خُلِفْتُ غَيْرَ زُمْلٍ وَلَا وَكَلُ

03 ذَا قُوَّةٍ وَذَا شَبَابٍ مُقْتَبِلُ

04 لَا جَزَعَ الْيَوْمَ عَلَى قُرْبِ الْأَجَلُ

05 الْمَوْتُ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلِ

06 نَحْنُ بَنُو الْمَوْتِ إِذَا الْمَوْتُ نَزَلَ

يَبْدَأُ الشَّاعِرُ أَرْجُوزَتَهُ بِضَمِيرٍ مِنَ الْإِشَارَاتِ الشَّخْصِيَّةِ، مُعْتَدًا بِنَفْسِهِ مُفَاحِرًا، قَالَ: (أَنَا أَبُو بَرْزَةٍ إِذْ جَدَّ الْوَهْلُ)، الْمُبَارُ إِذَا اشْتَدَّ الْفَزَعُ فِي الْقِتَالِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى الْإِخْبَارِ بِأَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ جَبَانًا ضَعِيفًا مُتَّكِلًا عِنْدَ التَّجَالُدِ عَلَى غَيْرِهِ، مُشِيدًا بِقُوَّتِهِ، قَالَ: (ذَا قُوَّةٌ...)، بِمَعْنَى: "إِنَّ رَأْيَهُ قَوِيٌّ"، وَمُسْمُوعُ الْكَلِمَةِ فِي قَوْمِهِ²⁰، فِي أَوَّلِ شَبَابِهِ، قَالَ: (وَذَا شَبَابٍ مُقْتَبِلُ)، فَتِي لَا يَخْشَ غَمَارَ الْحُرُوبِ، وَيَنْتَقِلُ بَعْدَهَا إِلَى نَفْيِ الْخَوْفِ مِنَ الْمَوْتِ، مَا يَدُلُّ عَلَى نَفْسِيَّةٍ رَاضِيَةٍ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ الْوَاقِعِ لَا مُحَالَةٍ.

ثُمَّ يَصْرُحُ فِي الشَّطْرِ الْخَامِسِ بِأَنَّ الْمَوْتَ عِنْدَهُمْ أَشْهَى مِنَ الْعَسَلِ، وَهِيَ صُورَةٌ بَلِيغَةٌ صَوَّرَ فِيهَا الْمَوْتَ وَشَبَّهَ مَذَاقَهُ بِأَنَّهُ يَفُوقُ الْعَسَلَ حَلَاوَةً، مَا يُبَيِّنُ إِقْبَالَهُمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَخْتِمُ خِطَابَهُ بِعِلَاقَةٍ تِلَازِمِيَّةٍ تَرْبُطُ الْخَارِجِيَّ بِالْمَوْتِ، لِيَصِيرَا كَالْأَبِ وَابْنِهِ، وَهِيَ

علاقة تستثير ذهن المُتلقي وتجعل العدو يهابهم، فهؤلاء القوم لا يريدون الحياة، والموت عندهم أشهى على قلوبهم من الدُّ طيبات الدنيا.

إنَّ تكرار "وحدة الغايات" حاجج بها الشَّاعر في سياقين مختلفين، الأوَّل: التَّحدِّي والمُفاخرة، والثَّاني: الزُّهد في الدُّنيا والإقبال على الآخرة، وأنَّ خوض الخوض والموت لا يثني عزائمهم في المُقاومة وبلوغ غايتهم الأسمى، وأنَّهم ماضون مُتجلِّدون في قتالِ خصومهم دون تراخٍ أو وجلٍ.

3.3 التَّكرار التَّركيبي:

- النِّداء (أداة النِّداء والمُنَادى):

- قال أَيُّوبُ بْنُ خُوَلَى البَجَلِيُّ يرثي "هَذَبَةَ الْيَشْكُرِيِّ"²¹: [الطَّويل]

- 01 فَيَا هَذَبُ لِلْهَيْجَا وَيَا هَذَبُ لِلنَّدَى وَيَا هَذَبُ لِلْخَصْمِ الْأَلَدِّ يُحَارِبُهُ
- 02 وَيَا هَذَبُ كَمْ مِنْ مُلْحِمٍ قَدْ أَجَبْتُهُ وَقَدْ أَسْلَمْتُهُ لِلرَّمَاكِحِ جَوَالِبِهِ
- 03 وَكَانَ أَبُو شَيْبَانَ خَيْرَ مُقَاتِلٍ يُرْجَى وَيَخْشَى بِأَسْهٍ مَنْ يُحَارِبُهُ
- 04 تَزَوَّدَ مِنْ دُنْيَاهُ دِرْعًا وَمِغْفَرًا وَعَضَبًا حُسَامًا لَمْ تَخْنُهُ مَضَارِبُهُ

سعى الشَّاعر في هذه الأبيات إلى رسمِ صورةٍ مثاليَّةٍ لمرثيِّه وخليله "هَذَبَةَ الْيَشْكُرِيِّ" يكيه فيها، ويُشيدُ ببطولته، حيثُ صرَّح بذلك قائلاً: (فَيَايَ بَالَاءِ الْفَتَى أَنَا نَادِيهِ)، مبرزًا قوَّةَ صاحبه وشجاعته وقُوَّتَه، فُتُوَّةَ النُّجْدَةِ والمَسْلَكِ الَّذِي يُنَمِّي خُلُقَ الشَّجَاعَةِ فِي الْفَتَى، قال: (فَيَا هَذَبُ لِلْهَيْجَا وَيَا هَذَبُ لِلنَّدَى) مُدَلِّلاً على بسالته وبُطولته، مُصَوِّراً إقدامه في الحُرُوبِ وعدم خوفه عند اللقاء، قال: (وَيَا هَذَبُ لِلْخَصْمِ الْأَلَدِّ يُحَارِبُهُ)، مُشيرًا في البيتِ الرَّابِعِ إلى أنَّ صاحبه يُغيثُ المغلوب والأسير، وتوظيف "كَمْ الْخَبْرِيَّة" جاء دلالة على التَّكثير، والشَّاعرُ بتوظيف التَّركيبِ التَّكراريِّ للنِّداء؛ يُقرِّرُ ويؤكدُ شجاعة "هَذَبَةَ"، ويثبتُ صفاتٍ قلَّما تجتمعُ في رجلٍ، ففي الحربِ تراه مُقدِّماً، وفي الإغاثَةِ تلقاه مُلبِّياً، وعند لقاءِ الخَصْمِ تراه مُجَاهِداً، لينتقل الشَّاعرُ ليرسمَ مشهداً ثانياً يُخبر فيه أنَّ صاحبه كان خيراً مُقاتِلٍ يُخشى لقاءه ونزاله، متحدثاً في البيتِ الأخير عن زُهدِه في الدُّنيا الَّتِي لَمْ يخرُجْ منها سوى بسيفٍ ودِرْعٍ وخُوْدَةٍ وسيفٍ باترٍ لا يُخطئ الهدف.

جسَّدتْ هذه المِثَاقَةُ معاني البُطُولَةِ والقُوَّةِ، والَّتِي انطوتْ على مجموعةٍ مِنَ القيمِ الَّتِي هي أسمى الصِّفَاتِ الَّتِي يُمكنُ أَنْ يُمدَحَ بها الرِّجَالُ، مِنْ شجاعةٍ وبسالةٍ وإغاثَةِ المُستجير والأسير، لتُختَمَ هذه السَّجَايا بالزُّهدِ في الدُّنيا وملذَّاتها.

- الإِسْتِفْهَامُ: يُعدُّ الإِسْتِفْهَامُ الحِجَاجِيُّ نَطْأً من "الإِسْتِفْهَامِ الَّذِي يَسْتَلْزِمُ تَأْوِيلَ الْقَوْلِ الْمُرَادِ تَحْلِيلَهُ، انْطِلَاقاً مِنْ قِيَمَتِهِ الْحِجَاجِيَّةِ"²²، وهو أحدُ أهمِّ البَنَى التَّأثيرِيَّةِ، ذو تركيبةٍ إقناعِيَّةٍ تجعلُ المُتلقي يُعْمَلُ فِكْرُهُ فِي الْقَضِيَّةِ الْمَطْرُوحَةِ، فَإِثَارَةُ الْأَسْئَلَةِ وَتَكَرُّارُهَا: "هي جُزْءٌ فاعِلٌ وله بالغُ الأثرُ في سِيْاقِ التَّرَاكِيْبِ الْحِجَاجِيَّةِ"²³، ما يعني أنَّ الإِسْتِفْهَامَ فعْلٌ لغويٌّ يُؤْتِي به لأغراضِ حجاجِيَّةٍ، وقد وُظِّفَ الخوارِجُ كثيراً في شِعْرِهِمْ، فَكَانَ لِبَنَةِ أُسَاسِيَّةٍ فِي بِنَاءِ خِطَابَاتِهِمْ وَتَقْرِيرِهَا وَإِثْبَاتِهَا.

- تقول "مُلِيْكَةُ" فِي رِثَاءِ عَمِّهَا²⁴: [الكامل]

- 01 مَنْ ذَا يُرْجَى لِلنَّصِيحَةِ حِينَ تُعْتَقَدُ النَّصَائِحُ؟
- 02 أَمْ مَنْ يُرْجَى لِلْقَرِيبِ وَمَنْ يَكُونُ لِكُلِّ نَارِحٍ؟

03 أَمْ مَنْ يُؤْمَلُ لِلْيَتِيمِ وَكُلِّ ذِي غَرْبٍ وَنَائِحٍ؟

04 أَمْ مَنْ يَعْمُ صَدِيقَهُ خَيْرًا وَيُحْجِرُ كُلَّ نَائِحٍ؟

تبكي الشاعرة عمها على شكلٍ تأبينٍ، تُعدُّ من خلال مناقبه وصفاته النبيلة، فقد وظفت تراكيب استفهاميةً شرطيةً مكررةً، تحملُ شحنةً حجاجيةً عاليةً، وهذا الترداد في الأبيات؛ يُعدُّ أساسًا للوحدة النصية في هذا التركيب، ومن الدوال الاستفهامية التي خرج فيها السؤال عن معناها الحقيقي إلى معاني الإخبار والإشادة، فملئكة شككت باستفهامها (من ذا، أم من) تكرارًا يجذب المتلقي إلى صفات المراثي، ويثبت صورته في ذهنه، وتتحسر في ذات الوقت على عمها، وقد أوردت صفات أصيلةً جسدت من خلالها الحزن أولًا، وتدعو بها إلى تخليد ذكر اسم عمها، ما نتج عن هذه المعاني المكررة تراكم دلالي مؤثر مُعبّر عن غايته وهدفه، وهكذا تظافرت حمولة التكرار الاستفهامي مع باقي المكونات، لتشكل خطابًا حجاجيًا غايته استماله المتلقي والتأثير فيه.

إنَّ الملاحظ على خطاب "ملئكة"؛ تركيزها على العناصر الجاذبة للمتلقي، من فضلٍ وكرمٍ وشجاعةٍ، وهي حُججٌ بسيطةٌ تستدعي الإقبال على الخطاب لا النفور منه، واستثمرت أيضًا صوت الجرس الإيقاعي لصوت الحاء (الروي)، وفعله التأثيري في نفس المتلقي، والمقتضيات التي قدّمها الشاعرة تسمح لنا أن نرتقي بهذا التركيب الحجاجي كالآتي:

- المُغَيَّبُ فِي الثَّرَى النَّاصِحُ

- المُجِيرُ لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ

- الْمُؤْوِي لِلْيَتِيمِ وَالْبَاكِي

تقتضي

رجالاً أصيلاً، كريماً، خيراً، شجاعاً ووفياً.

ما يقتضي

البكاء والحزن عليه.

شكل 03: تظافر الحُجج للوصول لمقتضى الخطاب.

التَّكَرَّارُ	شَكْلُهُ	نَوْعُهُ بِاعْتِبَارِ الْبِنْيَةِ	الْوُظِيفَةُ التَّدَاوُلِيَّةُ الْحِجَاجِيَّةُ
الْلَفْظِيُّ	اسميّ / عَلَمٌ	"ابن الجعد" (04 مرّات)	نُصِّحْ ودعوة إلى العودة إلى رُكْبِ الخوارج
	فعليّ / ناقص	"كان" (04 مرّات)	تعداد مناقب المُرثِيّ وإبراز فضله لِحُصُومِهِ
	استهلالي	"كلاهما" (05 مرّات)	ذكرُ المناقب والفخر بالقوة والبطولة
	وحدهُ الغاياتِ	"الموت" (04 مرّات)	الإقدامُ والتَّباتُ والتَّحدّي
التَّرْكِيبِيُّ	الجملةُ الشَّرْطِيَّةُ	لو + فلو (مَرَّتَانِ)	بكاءٌ، تحدّدٌ ووعدٌ بأخذِ الثَّأْرِ
	النِّداءُ	"يا هذّب" (04 مرّات)	الإشادةُ بشجاعة "هذبة" وبُطُولته
	الاستفهام	"أم من" (03 مرّات)	بيانُ الفجاعةِ والحُزنِ على المُرثِيّ، مع تعداد مناقبِ الخير والصَّلاحِ الّتي يتَّصفون بها

شكل 04: التَّكَرَّارُ الْلَفْظِيُّ والتَّرْكِيبِيُّ؛ الوُظِيفَةُ التَّدَاوُلِيَّةُ الْحِجَاجِيَّةُ.

4. خاتمة:

نلاحظُ مِنْ خلال ما تقدّمَ طَرَحُهُ؛ أَنَّ شُعراءَ الخوارجِ استطاعُوا أَنْ يعرضُوا أفكارَهُم وتجارِبَهُم بشكلٍ ساعدَ على ارتقاءِ خطابِهِم إلى مستوى الحِجَاجِيَّةِ والإقناعِ والتَّأثيرِ الّذي يخدمُ قَضِيَّتَهُم ومُعتقدَهُم، وَمِنْ خلالِ ما عُرِضَ؛ خُلِّصَ البَحْثُ إلى نتائجٍ أَهمَّها:

- وُظِفَ شُعراءُ الخوارجِ التَّكَرَّارَ بَعْدَهُ وَسِيلةً حِجَاجِيَّةً إقناعِيَّةً تُساعدُ على تبليغِ خطاباتهم.
- تنوّعَ استعمالُ التَّكَرَّارِ بين: الرِّثاءِ، الهِجاءِ، وصِفُ الشَّجاعةِ والتَّحدّي.
- أظفَى التَّكَرَّارُ التَّجديدَ في طَرِحِ المعاني في خطابِ الخوارجِ، ما جعلَهُ يرتقي إلى مصافِّ الآليّاتِ البلاغيّةِ القويّةِ الّتي تُعزِّزُ القَبُولَ في نَفْسِ المُتلقّي.
- تنوّعتْ أشكالُ التَّكَرَّارِ في شِعْرِ الخوارجِ بين: صوتيّ، لفظيّ، استهلاليّ وتركيبيّ.
- غابَ التَّكَرُّارُ بالمعنى عن مُدوَنَةِ شِعْرِ الخوارجِ.
- إِنَّ الخطابَ الشَّعريّ الخارجيّ؛ حِجَاجِيٌّ بامتيازٍ.

5. المصادر والمراجع:

أ- الكتب بالعربية:

1. أحمد مطلوب، أساليب بلاغيّة (الفصاحة، البلاغة، المعاني)، وكالة المطبوعات، (ط 1)، (الكويت 1980).
2. إحسان عبّاس: ديوان شعر الخوارج، دار الشُّروق، بيروت، القاهرة، ط 4، (مصر 1402 هـ - 1982).
3. ابن الأثير: المثل السائر، دار نخضة، د ط، ج 2، (مصر، 1999).
4. أبو بكر الغزالي: اللُّغة والحِجَاج، العمدة للطَّبع، (ط 1)، (مصر، 2006).
5. حسن العُرفي: حركيّة الإيقاع في الشَّعر العربيّ المُعاصر، إفريقيا الشُّرق، (د ط)، (المغرب 2001).
6. سامية الدَّريدي، الحِجَاج في الشعر العربيّ بنيتِه وأَساليبه، عالم الكتب الحديثة، (الأردن، 2011).
7. عبد الله صولة، الحِجَاجُ أَطْرُهُ ومنطَلقاتُهُ، منشورات كلية الآداب مُتوبة، (تونس، 1988).
8. فيضُ الرِّحمان الحِقاني: شرحُ ديوانِ الحِمْاسَةِ، دارُ الكُتُبِ العِلْميّةِ، (د ط)، (لبنان - 1971).

9. صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النّصي بين النّظرية والتّطبيق، دار قباء، (ج 2)، (ط 1)، (مصر 2000).
10. محمّد طروس: النّظرية الحجاجيّة من خلال الدّراسات البلاغيّة واللّسانيّة، دار الاختلاف، (د ط)، (الجزائر 2010).
11. مقداد محمّد شاكر قاسم، البنية الإيقاعيّة في الشّعر الجواهريّ، دار دجلة، (ط 1)، (العراق 2010).
12. الزّبيدي: تاج العروس، من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، ج 14. (لبنان - دت).

ب- الكتب باللّغة الأجنبية:

1. Jean-Paul Dubois: Dictionnaire de linguistique. Larousse, 1^{er} edition, 1994.

ج- المقالات:

1. حجّت رسولي، رائد شنان، حجاجيّة السّؤال في المناظرة الأدبيّة، مجلّة دراسات نقدية، جامعة إيران، مج: 8، ع 1، 2018.

6. قائمة الإحالات:

- 1 - محمّد طروس: النّظرية الحجاجيّة من خلال الدّراسات البلاغيّة والمنطقيّة واللّسانيّة، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، (د ط)، 2010، ص 47.
- 2 - الزّبيدي: تاج العروس، من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ج 14، ص 27.
- 3 «En rhétorique, la redondance est une Figure de style consistant dans la répétition excessive d'ornement». Jean-Paul Dubois: Dictionnaire de linguistique. Larousse, 1^{er} edition, 1994, p 400.
- 4 - ابن الأثير: المثل السائر، دار نهضة مصر، د ط، 1999، ج 2، ص 03.
- 5 - أحمد مطلوب، أساليب بلاغيّة (الفصاحة، البلاغة، المعاني)، وكالة المطبوعات، الكويت، (ط 1)، 1980، ص 234.
- 6 - صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النّصي بين النّظرية والتّطبيق، دار قباء، مصر، (ط 1)، 2000، (ج 2)، ص 19.
- 7 - يُنظر: سامية الدّريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيت وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011، ص 168.
- 8- يُنظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطقاته، منشورات كلية الآداب منوبة، تونس، 1988، ص 318.
- 9- يُنظر: مقداد محمّد شاكر قاسم، البنية الإيقاعيّة في الشّعر الجواهريّ، دار دجلة، العراق، (ط 1)، 2010، ص 185.
- 10 -إحسان عبّاس: ديوان شعر الخوارج، دار الشّروق، بيروت، القاهرة، ط 4، 1402 هـ- 1982 م، ص 83.
- 11 - المرجع نفسه: ص 158.
- 12 - المرجع السابق: ص 128.
- 13 - حسن العرفي: حركة الإيقاع في الشّعر العربيّ المعاصر، إفريقيا الشّرق، المغرب، (د ط)، 2001، ص 84.
- 14 - إحسان عبّاس: ديوان شعر الخوارج، ص 134.
- 15 - المرجع نفسه: ص 207.
- 16- المرجع السابق: الصّفحة نفسها.
- 17 - حسن العرفي: حركة الإيقاع في الشّعر العربيّ المعاصر، 2001، ص 84.
- 18 - إحسان عبّاس: ديوان شعر الخوارج، ص 102.
- 19 - المرجع السابق: ص 144.
- 20 - فيض الرّحمان الحقايني: شرح ديوان الحماسة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، (د ط)، 1971، ص 191.
- 21 - إحسان عبّاس: ديوان شعر الخوارج، ص 215.
- 22 - أبو بكر الغزاوي: اللّغة والحجاج، العمدة للطّبع، مصر، (ط 1)، 2006، ص 27.
- 23- يُنظر: حجّت رسولي، رائد شنان، حجاجيّة السّؤال في المناظرة الأدبيّة، مجلّة دراسات نقدية، جامعة طهران، إيران، مج: 8، ع 1، 2018، ص 76.
- 24 - إحسان عبّاس: ديوان شعر الخوارج، ص 140.